بمقاتلة الفلسطينيين لحماية أبناء طائفتها بدلاً من مقاتلة اسرائيل التي المحت «لامل» انها ستترك لها مسألة امن الجنوب، اذا تمكنت من ضبط نشاط الفئات الاخرى ضد اسرائيل. وصار المحرومون «في» وطنهم (حسب تعبير حسين فضل الله) يقاتلون المحرومين «من» وطنهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هو: هل كانت «امل» تجرؤ على مقاتلة الفلسطينيين لولا حصولها على ضوء اخضر من حليفتها سوريا ؟ والجواب، طبعاً، كلا.

فما هي المصلحة السورية في حرب «امل» على مخيمات الفلسطينيين في لبنان ؟

سوريا: عقدة تضخيم الذات

امتازت سوريا، منذ حكمها حزب البعث العربي الاشتراكي في العام ١٩٦٣، باطلاق الشعارات الكبيرة حول مسألة تحرير فلسطين. فقد قال رئيس سوريا الاسبق امين الحافظ سنة ١٩٦٥، رداً على تهديدات اسرائيلية: «سنجعل لهم حائط مبكى يمتد من دمشق الى الاقصى». ولا يختلف هذا التصريح كثيراً عن تصريح الرئيس السوري الحالي، في احدى خطبه الاخيرة، حيث قال: «سنجعل الجولان في وسط سوريا». وبين مثل هذه التصريحات والواقع فارق كبير تجسده حقيقة هزائم الجيش السوري في ظل قيادة البعث امام الجيش الاسرائيلي. وكان من الممكن قبول مثل هذه الهزائم وتبريرها كمعارك في سياق «حرب تحرير»، لولا ان سوريا دخلت في سياق نهج «التسوية السلمية» بعد حرب العام ١٩٧٣، وصارت حربها مع اسرائيل، اما لتحسين شروط التفاوض (حرب الصمود ١٩٧٤)، واما دفاعاً عن الذات (معارك ٩ و ١٠ حزيران ـ يونيو ١٩٨٢).

ومنذ انفراط عقد التضامن السوري ـ المصري باتفاقية سيناء (١٩٧٥)، عملت سوريا على تجميع الاوراق السياسية الاخرى الفاعلة في الصراع مع اسرائيل، لتشكل بذلك قوة اقليمية تنتزع بواسطتها شروطاً افضل في اطار المساومة على التسوية. وقد تميز الدور السوري في منطقة الشرق الاوسط، بعد العام ١٩٧٥، بتجميع المتناقضات، على ان يكون المركز. على سبيل المثال، كانت علاقات سوريا بالاردن من اوثق العلاقات في العام ١٩٧٦، وفي الوقت ذاته اعلنت قيام وحدة فلسطينية ـ سورية، ولم تحاول مصالحة الاردن و م.ت.ف. كي تبقى سوريا المركز للطرفين. وخلال الحرب الاهلية اللبنانية، كان طرفا الحرب يترددان على دمشق التي لم تقطع علاقاتها بالجبهة اللبنانية، الا بعد ان كشف اطراف تلك الجبهة علاقتهم القائمة مع اسرائيل امام الرئيس السوري، فصارت سوريا في موقع الحرج من تلك العلاقة، بعد ان كانت ادخلت قواتها الى لبنان للدفاع عن اطراف تلك الجبهة. ولا تشذ علاقات سوريا الدولية ونسق علاقاتها الاقليمية كما اسلفنا بتعريف سياستها «بجمع النقائض»، التي كان آخرها ايواء ايلي حبيقة، بطل مجازر صبرا وشاتيلا، في دمشق.

وكان من بين الاوراق السياسية التي حاولت سوريا وضعها في سلتها ورقة المقاومة الفلسطينية. وتنوعت وسائل سوريا للقبض على الورقة الفلسطينية، من التحالف الى محاولة التطويع بالقوة الى الاحتضان باسم «وحدة الهدف». لكن م.ت.ف. كما تملصت من الحنان السوري واجهت القوة السورية بالقوة، وذلك انطلاقاً من سياسة م.ت.ف. التي تقضي بوجوب عدم توكيل احد بقضية الشعب الفلسطيني التي عبر عنها شعار «القرار الوطني المستقل».